

الحياة الاجتماعية

الإسلام الحنيف يشمل جميع نواحي الحياة ويتناولها بالبناء والتعمير والإصلاح والتهذيب والتجميل وعلى رأسها الحياة الاجتماعية ، وهو يختص بالجانب الروحي والأدبي ويتولى بناء روح الإنسان وتهذيب نفسه وغسل دماغه كما يبحث على العناية بالجسم وتهذيبه وتجميله . أما وسائل تهذيب الجسم ومواد تجميله فيتركها للعلم الذى هو مختص بصنعها وتوفيرها . وهكذا يتعاون الدين والعلم على بناء الإنسان الصالح المثمر وصنع الحياة الإنسانية السكرية ، فيتولى الدين الجانب الروحي والأدبي ويتولى العلم الجانب المادى الحسى .

ولما كان الإنسان هو الذى يصنع الحياة ويشكلها ويؤنها بفكره ونفسه ويده وحجر الزاوية فى بناء الأسرة والمجتمع فقد حرص الدين كل الحرص على موقف الإنسان من نفسه ومن أسرته ومجتمعه وإنسانيته . فإذا كان الإنسان جميلا طيبا جملت وطابت حياة الإنسان نفسه وحياة أسرته ودنيا بيته . فما فى الحياة الدنيا من خير وجمال من صنع الإنسان الطيب الخير . وما فيها من شر وقبح من صنع الإنسان الشرير السيئ .

لذلك ركن الإسلام الحنيف على إيجاد الإنسان الخير الطيب
روحاً ونفساً وعقلاً وشكلاً لإيجاد الأسرة الصالحة المثمرة وبناء
المجتمع الصالح الطيب لأن المجتمع يتكبرن من أفراد وأسر وحجر
الزاوية في بناء المجتمع الصالح بناء الفرد الايجابي النافع ، فكلما يكون
الفرد يكرن المجتمع فهو صورة مصغرة لمجتمعه ونسخة منه ولبنة
في بنائه والفرد يصلح ويطيب ويهتدى بالعلم والإيمان والمنطلق
بالفرد إلى الخير والفلاح في الدنيا والآخرة الايمان بالله لذلك حثه
الله تعالى على ورود منهله فقال جل شأنه : « والعصر إن الإنسان
لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق
وتواصوا بالصبر » .

والدين يحث على طلب العلم والعلم يهتدى إلى الإيمان فلذلك
حبيب الله تعالى العلم والإيمان إلى الناس ودعاهم إليهما فقال : « قل
هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وقال عز وجل :
« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » .
وقال تبارك وتعالى : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » .

وطالب العلم النافع بشتى ألوانه وأشكاله فريضة على كل مسلم
ومسلمة كما قال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « طلب العلم
فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

والمسلم الذى يطالب العلم لينفع به نفسه وأهله وأمة يكافأ على ذلك بدخول الجنة كما قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة » .

والخلق الكريم يكمل العلم فى صنع الإنسان الصالح الفاضل وبناء المجتمع القوى السليم . انذلك بين رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس أن رسالة الإسلام الحنيف قوامها وروحها مكارم الأخلاق فقال : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » . وخير المساميين وأكرمهم أحسنهم أخلاقاً وأعلام آداباً كما قال رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام : « أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً » .

والله تبارك و... يقول : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . ولا شك فى أن أمه تلاق الفاضلة من ثمار الإيمان والتقوى ، وفى رأي أنه لادين ولا إيمان لمن لا أخلاق له وأن دين الإنسان أخلاقه، وهنا يحضرنى ما قاله الشيخ محمد عبده رحمه الله عندما زار فرنسا : « وجدت الاسلام ولم أجد المساميين » . وواضح أن إعجابه بأخلاق الفرنسيين وتعاملهم مع بعضهم هو الذى أوحى إليه بهذا القول .

والاسلام الحنيف يفهم المسلم أنه من مصاحته ومن الخير له أن يعمل صالحاً وأن لا يعمل شراً فقد قال الله تعالى : « من عمل

صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ، . وذلك يدفعه إلى فعل الخير ودفع الشر ، استطاع إلى ذلك سبيلاً كما أنه لا يتوانى عن اسداء المعروف والمنفعة للغير يحدوه إلى ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « خير الناس أنفعهم للناس » . ويزداد اقبالاً على التعاون مع اخوانه على البر والتقوى وعلى دفع الشر والأذى كلما طرق سمعه هذا الحديث الشريف : « والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » .

والمسلم الحق يدرك أنه لا يليق به أن يدعو غيره إلى البر والخير وينسى نفسه فالواجب يقتضى أن يسأل نفسه قبل أن يسأل غيره كما قال الله تعالى : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم » . فالذى يأمر غيره بالبر وينسى نفسه لا يصدقه أحد ويفقد ثقة الناس به ويعد منافقاً دجالاً وبذلك يخسر ولا يفلاح عند الله والناس وفى ذلك يقول الله تعالى : « يأياها الذين آمنوا كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » .

وقال الشاعر :

لا تنه عن خاتق وتأتى مثله عار عليك إذا فعات عظيم
وهكذا يبنى الإسلام الحنيف الإنسان بالإيمان والعلم ومكارم

الأخلاق ويربيه تربية إسلامية إنسانية فاضلة مثمرة ويعدّه اعداداً صالحاً لبناء الأسرة السليمة القوية والمجتمع الصالح المتين .

والاسلام الحنيف يفرض على المسلم القادر على الزواج وبناء الأسرة عقلاً وخلقاً وصحة ومالاً أن يبادر إلى الزواج ليكمل به دينه ويستر نفسه ويحفظ فرجه وينجب بنين صالحين فتبقى شجرة الحياة مورقة مزهرة مثمرة .

والأسرة المسلمة يقرّد سفينةًها ويتولى قيادتها الرجل لأنه أقدر على تحمل أعباء القيادة من المرأة فهو أصلب عوداً وأعمق تفكيراً وأبعد نظراً وأقوى يداً وأطول نفساً من المرأة كما قال الله تعالى : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » .

وإذا كانت ظروف الأسرة وأحوالها تسمح للمرأة بأن تشارك في العمل خارج البيت فلا مانع من ذلك فالضرورات لها أحكام . وعلى الرجل أن يبذل قصارى جهده في رعاية أسرته واسعادها وعلى الزوجة أن لا تألو جهداً في رعاية زوجها حاضراً وغائباً وعليها أن تربي أبناءها تربية صالحة فاضلة فهي وزوجها راعيان لأسرتهم كما قال رسول الله ﷺ : « كلّكم راع ومستول عن رعيته فالإمام راع وهو مستول عن رعيته والرجل في أهله راع

وهو مسئول عن رعيته والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيتهما والخادم في مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته والرجل في مال أبيه راع وهو مسئول عن رعيته .

وعلى الزوجة أن تطيع زوجها في الخير والحق ولا تطيعه في الشر والباطل . وعلى الابن طاعة والديه والبر بهما قولاً وعملاً ، قال رسول الله ﷺ : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » ، وقال الله تعالى : « ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إلى المصير . وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون » . على أن طاعة الابن لأبويه محدودة بالحق والخير والإيمان ، فمن واجب الابن ألا يطيع والديه إذا أمراه بمعصية الله .

* * *

والزواج لا ينمو ولا يشمر ما لم يكن على الحب المتبادل . لذلك لا يسمح الإسلام الحنيف باكرام المرأة على الزواج ممن لا تحب ولا بارغام الرجل أيضاً على الاقتران بامرأة لا يرغب فيها . وإذا ما انضب معين الحب أثناء الزواج وتحول الوثام والوفاق إلى تنافر وشقاق وصار الفراق خيراً من الاجتماع وجب الطلاق

فلا اكراه فى دخول الزواج ولا فى الاستمرار فيه ، وينبغى أن يكون التسريح والطلاق بتراضى وإحسان كما جرى الاقتران والإمساك لأن الاسلام يتوخى الحياة الراضية فى كلا الحالين فقد قال الله تعالى : « فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » .

وفى الاسلام الحنيف الضرورات لها أحكام وتبيح المحظورات لذلك أباح الاسلام للمسلم فى ظروف معينة ملحة أن يجمع تحت سقف الحياة الزوجية أكثر من زوجة واحدة فى ظل العدل والمساواة . ومن تلك الضرورات أن تصاب الزوجة بمرض يؤثر على قيامها بواجباتها الزوجية . أو أن تبتلى بالعقم وذلك أفضل من تسريحها واستبدالها بأخرى فترمى برميتين العقم والطلاق . أو عدم قناعة الزوج بالمرأة واحدة وذلك أكرم وأشرف من اتخاذ العشيقات والخليلات . أو أن تكون هناك زيادة فى عدد الاناث على الذكور فذلك خير من وجود العوانس المعرضات للغواية والوقوع فى حبائل الشيطان .

أما تلك العداوة التقليدية بين الضرائر فبعضها قلة عقول النساء وأنانيتهن ، فالضرة ليست غولا يأكل ولا بعبعا يخيف بل إنها يمكن أن تكون عوناً لشريكها وضرتها ، ولكن سبحانه واهب العقول ومن أين نأتى المرأة بعقل يدرك ذلك ؟

وتعدد الزوجات يقيده الإسلام الحنيف ومن الفطرة والعقل والمنطق بالحاجة الملحة والضرورة القصوى والعدل والمساواة فإذا لم يكن شيء من ذلك كله فلا زواج إلا بواحدة . فهذه الشروط والقيود تجعل زواج الرجل بأكثر من واحدة شبه محظور كما يقول الله تعالى : وإن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، وفي رأى أن تعدد الزوجات يعد من الحرية الشخصية ويتوقف أولاً وأخيراً على ظروف الرجل وأحواله الشخصية ، لذلك ليس من المنطق ولا من العدل اصدار قوانين تمنع الزواج بأكثر من زوجة واحدة .

وبلاحظ أن هذه الظاهرة الاجتماعية غالباً ما ترجع في الأوساط الجاملة غير المتعلمة وقلما نراها لدى الفئات الواعية المستنيرة ، هذا وليس مما يتمشى مع الفطرة السليمة وواقع الحياة أن يفرض على الرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة أو أن يحرم من حقه الشخصى وحرية الشخصية فى الزواج بامرأة ثانية لسبب ما تحت وطأة ظرف اضطرارى والضرورات لها أحكام واستثناءات .

أما تحديد النسل فالإسلام لا يمنعه إذا كانت المصلحة العامة تتطلب ذلك . ويدل على ذلك أن الأم التى يشكل الحمل خطراً على

حياتها يحق لها تعاطى وسائل منع الحمل وتحديد النسل . وكيف
يكون ذلك حراماً وهو عملية وقائية لا تنطوي على اجهاض أو قتل
طفل ، فالحرمان الاجهاض الذى يتضمن قتل جنين وحرام أيضاً
قتل طفل خشية املاق أو غير ذلك .

ونرى المجتمع الإسلامى فى ظل الإسلام الخفيف كالبنيان
المرصوص يشد بعضه بعضاً كما نرى المسلمين كأجزاء الجهاز
الواحد وأعضاء الجسم الواحد فهم إخوة متحابون متراحون
متضامنون كما قال الله تعالى : « إنا المؤمنون إخوة » ، وكما قال رسول
الله ﷺ : « مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد
إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .
وقال : « المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً » .

فالمسلم الصحيح الصادق يتحلى بالتضحية والإيثار ويشعر بحال
أخيه المسلم ويحب له ما يحب لنفسه ، ومن لا يكون كذلك لا يعد
مسلماً مؤمناً كما قال رسول الله محمد ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى
يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

والمسلم الحق تراه طيباً سمحاً متسامحاً يقابل الإساءة بالإحسان
كما قال الله سبحانه وتعالى : « ادفع بالتي هى أحسن فإذا الذى بينك

وبينه عداوة كأنه ولي حميم . وقال جل وعلا : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً .

وهو لا يؤذى الناس بلسانه ولا بيده كما قال رسول الله محمد ﷺ : « المسلم من سام المسلمون من لسانه ويده » .

والمسلم المؤمن يتفاهم مع أخيه المسلم ويسامحه ولا يهجره عملاً بقوله ﷺ : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام » . والمسلم الصادق لا يظالم أخاه المسلم ولا يخذله ولا يتواني عن مد يد العون له في العسر والضيق كما قال رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسله ولا يحقره » .

والمسلمون المؤمنون حقاً يتناصحون فيما بينهم ويتواصون بالحق والصبر ولا يتعاملون بالغش والخداع فليس مسلماً حقاً من يغش أخاء المسلم ولا غير المسلم كما قال رسول الله ﷺ : « من غشنا فليس منا » .

وليس مسلماً من بات شبعان وجاره إلى جنبه جائع ، لأن المسلمين متكافلون متضامنون في جميع الظروف والأحوال .

ومن أجل دفع غائلة الجوع وذل الحاجة والسؤال ومحو

البؤس والشقاء فرض الله تبارك وتعالى الزكاة فهي حق معلوم
للمحتاجين العاجزين عن السعى والعمل والذين ليس لهم عوائل
يعولونهم ولا دخول تغنيهم عن مد يد الحاجة والسؤال في أموال
الأغنياء الأثرياء كما قال عز وجل : « وفي أموالهم حق معلوم للسائل
والمحروم » .

* * *

لا يمكن للمسلمين ولا لغيرهم أن يتطخوا على أنفسهم ويعيشوا
منعزلين عن غيرهم من الأمم والدول كما يشهد بذلك واقع الحياة
ماضياً وحاضراً ومستقبلاً ، وبما يحتم عليهم الاتصال بغيرهم هو
مسئوليتهم السماوية عن نشر الإسلام في أرجاء العالم وإبلاغه للبشر
كافة . ولن يصغى الناس إليهم وإن يتقبلوا دعوتهم ما لم يتبعوا
أسلوب الاقتناع والحكمة والموعظة الحسنة وما لم يكونوا قدوة
حسنة لغيرهم في العمل بمبادئ الإسلام الصحيح وأخلاقه العظيمة
وتطبيقه على أنفسهم قولاً وعملاً ، ظاهراً وباطناً . لذلك أمر الله
تعالى رسوله محمداً والمسلمين أن يدعوا الناس إلى الدخول
في الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ومجادلتهم بالتي هي أحسن
فقال جل وعلا : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
ومجادلهم بالتي هي أحسن » ، وقال عز وجل : « لا إكراه في الدين

قد تبين الرشد من الغي . والحكمة في ذلك أن الأديان والمبادئ والمذاهب لا تدخل قلوب الناس إلا عن طريق العقل والمنطق والافتناع لذلك أمرهم الله تعالى باتباع طريق العقل والمنطق والبرهان لا طريق القوة والاكراه ، فما يفرض على الناس بالقوة والارغام لا يلبث أن يزول بزوال القوة المادية التي فرض بها ، وما يفرض عليهم بقوة العقل والروح يدخل العقل ويستقر في القلب وما دخل القلب لا يخرج منه ويخلد فيه .

* * *

والمؤمن القوى الرحيم أقوى نوراً وأكثر إشعاعاً وأعلى صروتاً من المؤمن الضعيف ، لذلك كان أقدر على نشر الإسلام وحمايته من المسلم الضعيف . والناس بطبيعتهم يصغرون لمنطق القوى العزيز ويديرون ظهرهم للضعيف المسكين ، لذلك يركز الإسلام الحنيف على إعداد المسلم القوى جسماً وعقلاً وروحاً وعلماً وإيماناً وخلقاً لأنه أصل الإسلام في الازدهار والانتشار . فتمد انتشار في أرجاء العالم في ظل القوة الرحيمة وعز وساد على أيدي المسلمين الأقرباء الرحماء وانعكس على أيدي المسلمين الضعفاء الأذلاء . وفي ذلك يقول رسول الله محمد ﷺ : المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف . فالمؤمن القوى نور قوي والمؤمن الضعيف نور ضعيف .

والشجاعة قرة والجبن ضعف . ولا بد من الشجاعة لإحقاق الحق وإقامة العدل وهدم قلاع الباطل والظلم ، فالجبن مرتع الظلم والباطل ، لذلك كانت الشجاعة من الإيمان ، والمؤمن حقاً تراه شجاعاً في القول والعمل .

ولا يكون المسلم قوياً ما لم يستشعر العزة والكرامة والإباء كما قال الله تعالى : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

والمسلمون المؤمنون حقاً تراهم رحماء بينهم يحب بعضهم بعضاً ويأخذ الواحد منهم بيد أخيه كما تراهم أشداء غلاظاً على الأعداء كما قال الله تعالى : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » .

والقوة المادية تكمل القوة الروحية المعنوية واليد تكمل العقل في إيجاد الأمة القوية التي تنال احترام الصديق والقريب والبعيد وترهب العدو الخاقد وتبعد أطماعه عنها ، لذلك أمر الله تعالى المسلمين أن يعدوا ما يلزم من قوة مادية وروحية لإرهاب العدو ودحره فقال عز وجل : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

والإسلام الحنيف يعتبر البشر جميعاً أخوة في الأسرة الانسانية الكبرى فقد خلقهم الله تعالى من نفس واحدة ومن

أبوين هما آدم وحواء ، وذلك يدعوهم إلى التعارف والتفاهم والتعايش السلمى وتبادل المصالح والمنافع مع اختلافهم فى ألوانهم وألسنتهم ومذاهبهم وأديانهم فـكل إنسان حر فيما يرى ويعتقد فقد قال تعالى : «يأيتها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم» .

وبذلك ينعمون بالأمن والسلام والحياة الآمنة المطمئنة ، وما يحتم عليهم ذلك أنهم لا يجنون من التنافر والتخاصم والافتتال إلا الخسائر المادية والبشرية والخراب والدمار وافتقار الأمن والاستقرار . وفى سبيل السلم العالمى والتعايش السلمى نهى الله المسلمين عن البغى والعدوان فقال جل شأنه : «ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين» وطلب إليهم رد العدوان فقال : «من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» كما أنه جل شأنه أمرهم إذا كانوا فى حرب مع عدو أن يحنحوا للسلم والصالح إذا رغب عدوهم فى السلم الذى يقوم على الحق والعدل فقال : «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله» . أما الصالح الذى يحل حراماً ويحرم حلالاً ولا يقوم على احقاق الحق وإقامة العدل فىأباء الإسلام ويرفضه . ولا يحظر الإسلام الحنيف على المسلمين التعامل بالعدل والانصاف والإحسان مع غير المسلمين الذين لا يعادونهم ولم يقاتلوه فى الدين ويمدون لهم يد الصداقة والتعاون قال الله تعالى : «لا ينهاكم